النظرية التربوية في الإسلام

الدكتور محمود السيد سلطان

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية التربية - جامعة الملك عبدالعزيز - مكة المكرمة

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠هـ

النظرية التربوية في الاسلام

بحث مقدم لندوة الخبراء التربويين
المنعقدة في مكة المكرمة
بين ١١ ـ ١٦ / ٦ / ١٤٠٠ هـ

اعداد
الدكتور محمود السيد محمد سلطان
استاذ اصول التربية المشارك
جامعة الملك عبد العزيز ـ كلية التربية
مكة المكرمة

مقدمة البحث :

النظرية التربوية فى الاسلام " معالجة جديدة قديمة .. تأتى جدتها من ضـــرورة إبرازها من جديد فى ضوء اطار مفاهيم العصر الذى نحياه وفى ضوء الاجتهادات البشرية الـــتى تضيف جديدا باستمرار فى أمور الدنيا .. وتأتى قدمها من أن أى باحث فيها لن يضيف اليهـا جديدا لا فى جوهرها ، ولا فى بنيتها ، ولكن فى أساليب تطبيقها .

إن الجديد الذى تبرزه أية معالجة لقضايا التربية الاسلامية هو اقناع المفكرين المسلمين وغـير المسلمين بأن الاسلام فيه النظرية الاجتماعية الشاملة ، كما فيه النظرية التربوية المعجزة التى يمكن أن تهدى التربية فى عالمنا المعاصر وفى عالم الغد ، كما هدت التربية فى عالم الماضى . وذلـــك لخاصية أساسية فى الاسلام وهى أنه دين منزل من الله سبحانه وتعالى ، نزل لكل زمان ، ولكـل مكان، ولكل البشر عبر التاريخ بأبعاده الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل .

ومعالجتنا لهذا البحث هو إبراز للنظرية التربوية فى الاسلام ، وللتربية فيه . على اعتبـــار أن التربية فى أى نظرية اجتماعية تمثل الجانب الاجرائى والعملى والتطبيقى فيه حيث ينشأ النـاس ويتربون على مفاهيم النظرية وأسسها ومبادئها وتشريعاتها عن طريق الاجراءات التربوية الـــتى يتبناها قادة النظرية ودعاتها بعد تمثلهم لها وتبنيها فكرا وتطبيقا ..

النظرية الاجتماعية والنظرية التربوية فى الفكر المعاصر :

تستهدف النظرية الاجتماعية فى الفكر المعاصر بناء منظومة فكرية تحتوى على مجموعة من العناصر أو تتضمن مجموعة من الأبنية الفكرية المتكاملة والمترابطة والشاملة والمتسلسلة بحيث تعالج هـــذه الأبنية قضايا الحياة الكبرى الانسانية ، والاجتماعية ، وتوضح من خلالها تصوراتها النظريـــة والتطبيقية فى كافة مجالات الحياة المختلفة . بوجه عام ، والتربية بوجه خاص على اعتبار ان التربيـة هى التى تستنبط عناصر النظرية وأبنيتها المختلفة مستهدفة تحقيقها فى البشر .

ولذلك نجد أن النظرية الاجتماعية فى الفكر المعاصر تستند الى ثلاثة أنواع رئيسية مـــن البحوث فى بنائها لمنظومتها الفكرية .

١) بحوث تتولى دراسة العوامل الأساسية لجميع قضايا الحياة الاجتماعية المعاصرة " بأسـلوب علمى" وهو الذى تتخذه العلوم الطبيعية منهجا لها .

٢) دراسة الجذور التاريخية للقضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة " بأسلوب التحليل التاريخي الذى تتخذه الدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والتربوية منهجا لها .

٣) تفسير وتحليل الفروض الفلسفية الكامنة وراء دراسة هذه القضايا " بمنهج التحليل العقلى " الذى تتخذه الفلسفة منهجا لها .

وكذلك يهتم رجال الفكر التربوى المعاصر فى بنائهم للنظرية التربوية بثلاثة انماط هامة من البحوث والدراسات هى :

١) دراسة العوامل الأساسية لكل القضايا التربوية المعاصرة " بأسلوب علمى ".
٢) دراسة الجذور التاريخية للمشكلات التربوية المعاصرة " بأسلوب التحليل التاريخى ".
٣) تفسير وتحليل الفروض الفلسفية الكامنة وراء دراسة هذه القضايا " بمنهج التحليل الفلسفى ".

خصائص النظرية :

وهم يريدون أن يصلوا فى النهاية من هذه الدراسات الى بناء ذى مجموعة متكاملة شاملة من الأفكار المنتظمة المتناسقة المترابطة فى اطار متسلسل الحلقات يخلو منه الغموض والتناقض ، وصعوبة الفهم وعدم الوضوح على المستوى النظرى ، كما يسهل تطبيقه وأثاره على المستوى العملى .

وكما يصعد المفكرون من الدراسات السالفة الذكر الى " بناء النظرية " فانهم يستطيعون أن ينزلوا بها الى ارض الواقع الميدانى ليطبقوا أسسها على جزئيات الواقع الاجتماعى والتربوى ، فلا تتأبى جزئية من الجزئيات على الاطار الفكرى والقيمى والعلمى للنظرية . والا لثبت خلل النظرية وعدم قدرتها على استيعاب الجزئيات المنضوية تحت لوائها ، والتى ينسحب عليها اطارها .

كل هذا يحدث فى مجال الاجتهاد البشرى فى حضارة اليوم فى العالم الغربى . ذلك لأن هؤلاء العلماء يؤمنون بالعقل ، وبالمنهج العلمى التجريبى ، وبالتحليل الفلسفى والتاريخى لبناء نظرياتهم .

ونحن المسلمين نؤمن معهم بكل ما يؤمنون به .. نؤمن بقيمة الاجتهاد البشرى ، فنؤمن بالعقل الانسانى ، وبالمنهج العلمى التجريبى ، وبالتحليل الفلسفى والتاريخى فى بناء

نظرياتنا الاجتماعية والتربوية . ولكن الفرق بيننا وبينهم أننا اذ نؤمن بكل ذلك نؤمن فوق ذلك "بالله" الخالق الأعظم الذى خلق البشرية كلها ، والذى حدد لها اطارا يمكنها أن تنسج منه ما تشاء من النظريات والأفكار الاجتماعية والتربوية . فإذا بعدت عنه فمن المؤكد أن تخطئ ، واذا عاشت فى إطاره فمن المؤكد أن تصيب . ولذلك فكل الذى نؤمن به من اجتهاد بشرى وتنظير وتطبيق اجتماعى وتربوى هو من وحى الله ومن توجيهه . . هو من قرآنه ودينه . . هو من الاسلام الحنيف أكمل الأديان وأتم النظريات .

وكما نؤمن بالله خالقا أعظم لهذا الكون والوجود والانسان وما بعد الكون والوجود والممات نؤمن بالروح وبالجانب الروحى فى الانسان وأثره فى حياته . والروح أمر لا ندرك كنهه ولا طبيعته ولم نوت عنها علما كثيرا ويؤكد ذلك قول الله تعالى : " ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا " .

ولذلك فإننا إذ نؤمن بالجانب الروحى فى الانسان نؤكد مع هذا الايمان ضرورة الأخذ به كمنهج وكأسلوب للوصول إلى حقيقة الوجود والى خالق هذا الوجود . ونؤمن به كمنهاج تربوى يصلنا بعالم الحقيقة العليا . ونؤمن به كهدف تربوى إذ يرى الاسلام ضرورة تنمية هذا الجانب فى الانسان بالعبادات والدعاء والاذكار . " يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا " .[1]

وهو أسلوب من أساليب المعرفة . فكما يوصلنا الاسلوب التجريبى الى حقائق جزئية ويوصلنا الأسلوب التاريخى الى حقائق تاريخية ويوصلنا المنهج العقلى الى حقائق عقلية يوصلنا المنهاج الروحى الى الله أعظم الحقائق على الاطلاق . فالانسان اذا صفت روحه وتجردت استطاع أن يدرك مالا يمكن ادراكه بالمناهج الثلاثة السابقة وأن يستبصر حقائق لا تحتاج الى الدليل الحسى ولا الدليل التاريخى ولا الدليل العقلى ، وان كانت هذه الأدلة كلها لا تتناقض معها وانما تسير معها اذا ما كانت موضوعية لا تبتغى الا وجه الله والحقيقة .

ولسنا فى حاجة الى أن نؤكد أن النظرية التربوية تعكس بنية النظرية الاجتماعية التى تتبناها وخصائصها . وبقدر ما تكتمل بنية النظرية الاجتماعية تكتمل بنية النظرية التربوية . وبقدر ما تتصف به النظرية الاجتماعية من الشمول والتكامل والاكتمال والوضوح والعمومية والقابلية للتطبيق ، وبقدر ما تخلو من الغموض والتناقض والصراع بين أفكارها وقيمها بقدر ما تكون النظرية التربوية قادرة على ترجمتها فكريا وتطبيقيا . . وبقدر ما تكون النظرية التربوية قادرة على تمثل هذه الصفات والخصائص فى معالجة القضايا التربوية المختلفة .

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٤٢ .

وحتى فى حالة النظريات الاجتماعية التى لا تكتمل فيها البنية فإن لها نظرية تربوية تتمثلها وتتجاوب مع افكارها ٠

فالنظرية الماركسية لها تصوراتها الاجتماعية والفكرية التى تقابلها تصورات تربوية يمكن أن تصاغ فى برنامج تربوى وتتجسد نظاما تربويا بكامله ٠

ونظرية افلاطون الاجتماعية والفلسفية فى بناء الدولة المثالية لها نظريتها التربوية التى تتحقق مثالياتها وعناصرها من خلالها ٠(١)

والنظرية التربوية الاسلامية هى انعكاس للنظرية الاسلامية ٠٠ هى الترجمة التربويـــــة — النظرية والتطبيقية للاسلام ٠٠ كل الاسلام ٠٠ فكرا ، وروحا ، وتطبيقا فى مجالات الحيـاة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والانسانية والخلقية ٠٠

وهى فى منهجها تعتمد الاساليب الثلاثة المشار اليها سابقا وتعتمد عليها :

١) فلها فروضها ومسلماتها التى تستند الى مسلمات الاسلام كنظرية اجتماعية كبرى مصدرهـا القرآن الكريم واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٢) ولها أسلوبها التاريخى فى دراسة جذور المشكلات التربوية المعاصرة وفى دراسة التجـــارب التربوية التى طبقت فى الجماعة الاسلامية والمفاهيم التربوية التى طبقت وطرحت من قبـــل المفكرين المسلمين عبر التاريخ الاسلامى ٠

٣) ولها اسلوبها " العلمى التجريبى " فى دراسة الخبرات والمواقف التربوية المختلفة فى مجالات الحياة المختلفة فى إطار المسلمات والمبادىء والقيم الاسلامية التى تكون الاطار الفكـــرى الاسلامى ٠

كما أنها تعتمد أسلوبا رابعا يميزها عن جميع النظريات البشرية الأخرى ٠ ألا وهو الأسلوب الروحى لتربية الروح وتزكية النفس بقيم الاسلام وفرائضه واذكاره وبدعائه ٠ وهو منهج يعكـــس الجانب الروحى الذى يكون الشطر الأساسى من المنهاج الاسلامى كله ٠

افتراضات البحث :

وافتراضات البحث الرئيسية هى :

أن فى الاسلام بناءً متكاملا يقوم على المفاهيم والأسس والمبادىء والمضامين والوسائل والخصائص الآتية :

١) مفاهيم عامة ، ومسلمات كلية .

٢) أسس وركائز يقوم عليها، وهى مجموعة من المبادىء والقيم التى صاغها الاسلام على أساس الفطرة البشرية فى الطبيعة الانسانية .

٣) أهداف يستهدف تحقيقها فى الانسان وفى الجماعة البشرية .

٤) مضمون ومحتوى من المفاهيم والمسلمات والمبادىء والقيم والاتجاهات التى تبنى أيضا على أساس الفطرة الانسانية .

٥) وسائل وطرائق وأساليب وتشريع لتحقيق هذا البناء فى الواقع الاجتماعى .

٦) عناصر كاملة للتقويم وللعلاج المستمر .

وأن لهذا البناء مجموعة من الخصائص الرئيسية أهمها :

١) أن هناك تكامل وشمول ووضوح منطقى وعدم تناقض يتصف به البناء فى كل من مسلماته ومفاهيمه وقواعده وأسسه وركائزه وأهدافه ومضامينه ووسائله وطرائقه وتشريعاته وأساليب تقويمه سواء فى كل منظومة منها على حدة أم بينها جميعا كمنظومة كلية ، أم بين أساسها النظرى وأساسها التطبيقى .

٢) أنها تستند إلى نظرية فى الطبيعة البشرية وفى المجتمع وفى الثقافة البشرية ترتكز على أساس من الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها .

٣) أنها تقوم على أساس الموضوعية والفهم العميق الصادق لخصائص الانسان والمجتمع والثقافة .

٤) أنها تقوم على أساس التوازن . وبذلك لم تضح بأى طرف من أطراف القضايا الانسانية والحياتية المختلفة ، ولم تقلل من شأن أحدها على حساب الطرف الآخر .

٥) تقوم على أساس نظرية متكاملة فى المعرفة الانسانية فى طبيعتها وفى اهدافها وفى مصادرها .

٦) أن مثلها ومثالياتها وقيمها ومبادئها تعانق الواقع الاجتماعى من خلال التطبيق لتشريعاتها ومن خلال منهاجها التربوى الاسلامى بجميع عناصره .

والغرض الأساسي لهذا البحث .. هو :

أن النظرية التربوية في الاسلام بجميع عناصرها ومكوناتها تعكس هذه الافتراضات والخصائص جميعها . فتعكس البنية والخصائص وتتمثلها .

استدراك حول مصطلح النظرية :

في بداية طرحنا لهذا البحث ومعالجته يواجهنا سؤال لابد من طرحه وإثارته ومؤداه :

هل يحق لنا أن نطلق على الاسلام مصطلحات جرت على ألسنة المفكرين والكتاب من البشر ؟

هل يصح لنا أن نطلق على الاسلام مصطلح " نظرية " أو مصطلح " سياسة " أو مصطلح " فلسفة " او أي من هذه المصطلحات ؟

الواقع أننا لا نستطيع ان نطلق مصطلح نظرية على الاسلام وإن كان يحتوي ضمن ما يحتسوى على ما تواضع البشر عليه واصطلحوا على أن يسمونه نظرية .

ولانستطيع أن نطلق عليه مصطلح سياسة وإن كان يشمل ضمن ما يشمل على مصطلح السياسة بكل ما تعنيه السياسة .

ولا نستطيع ان نطلق عليه فلسفة . وإن كان يشمل ضمن ما يشمله على ما يسمى قديما وحديثا بالفلسفة . ففيه الفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفة بمفهومها العام ومعناها الخاص .

إن الذين يحاولون أن يضعوا مواصفات ومحددات لنظرية اجتماعية سوف يتضاءل ما توصلوا اليه إذا ما فتشوا في الاسلام لما يقابل هذه المواصفات وتلك المحددات .

والذين يحاولون أن يبحثوا ويحددوا مواصفات ومحددات للفلسفة بوجه عام . وللفلسفات الاجتماعية . والاقتصادية والسياسية على وجه خاص سوف يجدون أن ما توصلوا إليه فيه من الخطأ بقدر ما فيه الصواب — ان وجد — اذا ما تعمقوا في الاسلام من هذه الزاوية .

وأولئك الذين يكتبون في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأولئك الذين يمارسون نشاطات في مجالها سوف يجدون أنفسهم قد اصابوا أو أخطأوا . وقد نجحوا أو فشلوا اذا ماقارنوا ما اجتهدوا فيه بما صاغه الاسلام وترجمه المسلمون الى واقع عملي تطبيقي .

إن محاولات المفكرين الاسلاميين أنفسهم التى بذلت لابراز معالم نظرية وتطبيقية فى الاسلام ومقارنتها بنظريات وفلسفات اجتماعية واقتصادية هى الأخرى خطوات أولى لابراز هذه المعالم. ويحتاج الأمر باستمرار الى جهود بشرية جادة ومستمرة لفهم الاسلام وفهم ما اشتمل عليه .

وستظل الحقيقة تنطق باستمرار بان الاسلام هو المصطلح الشامل لكل شئ والمشرع لكل شئ والمستوعب لكل شئ.

وان كان بحثنا فى هذه المرة سوف يطلق عليه " النظرية التربوية فى الاسلام " فما ذلك الا تسمية بشرية لما فى الاسلام من أسس ومبادئ تربوية تنتظم فى منظومة فكرية واضحة المعالم محددة القسمات متدرجة متكاملة شاملة لكل جوانب التربية فى جانبيها الفكرى والعملى . كما وأنها تستند الى نظرية اجتماعية فيها جميع خصائص النظرية الاجتماعية التى حاول المفكرون والفلاسفة أن يضعوها نظرياتهم فعجزت عن أن تصل الى مستوى خصائص الاسلام .

مشكلة البحث : تحديدها — تساؤلاتها

تحديدها : والبحث يطرح قضية أساسية هى :

" النظرية التربوية فى الاسلام " وهى قضية تثير كثيرا من الأسئلة الخاصة بمفهوم النظرية ، ومدى انطباقه على التربية فى الاسلام ، أو مدى انطباق مفهوم التربية فى الاسلام عليه .

واذا ما انطبقت التربية على المفهوم ، أو انطبق المفهوم عليها فإن ذلك يثير أيضا تساؤلا عن الاطار الفكرى والتطبيقى الذى تستند إليه أو عليه النظرية التربوية فى الاسلام. ذلك لأن أية نظرية تربوية لابد وأن تستند إلى نظرية اجتماعية أو إلى اطار فكرى يعالج قضايا الحياة المختلفة .

ولذلك فاننا اذ نعالج هذا الموضوع فإنما نحدده فى دراسة للنظرية التربوية فى الاسلام وأساسها الفكرى واطارها الاجتماعى الذى تستند اليه .

ومن ثم فإن تساؤلات عديدة يطرحها هذا البحث ..

تساؤلات البحث :

هناك أسئلة خاصة بمفهوم النظرية الاجتماعية ، وبنيتها بوجه عام ، وأخرى خاصة بمدى تطابقها مع بنية الاسلام . ومن مفهوم النظرية التربوية في الفكر المعاصر ، واسئلة خاصة بمدى انطباق التربية في الاسلام عليها أو بمدى انطباقها على التربية في الاسلام وبخصائصها وبخصائص النظرية التربوية في الاسلام ، وهذه أهم التساؤلات :

اولا : ١) ماذا يقصد بالنظرية بوجه عام ؟
٢) ما بنية النظرية ، وخصائصها بوجه عام ؟

ثانيا : ٣) ما بنية النظرية الاسلامية وخصائصها ؟

ثالثا : ٤) ما بنية النظرية التربوية في الاسلام وما خصائصها ؟

وتثير هذه التساؤلات الكبرى مجموعة كبيرة من الأسئلة التي سنذكرها باذن الله تعالى — في حينه .

اولا : النظرية التربوية الاجتماعية : مستوياتها وخصائصها :

ذكرنا أن النظرية الاجتماعية " بناء " فكري شامل متكامل متناسق يحتوي على مجموعة إجابات لقضايا الحياة الكبرى والصغرى . كما يحتوي على تصورات عملية لتطبيق هذه الاجابات ، وتصورات نظرية وعملية للتربية وللتنشئة الاجتماعية كمعبر تعبر به هذه النظرية من سماء الفكر الى أرض الواقع والتطبيق .

ولها مجموعة من العناصر أو الأنظمة الفكرية التي تكون منظومتها . كما أن لها مجموعة من الخصائص والصفات التي تتميز بها وتتصف . وبدونها تفقد مغزاها ، ومعناها . وقد أشرنا اليها من قبل أيضا مثل الشمول والتكامل والمثالية الواقعية وعدم التناقض ، والانسانية والعمومية .

وسوف يزداد هذا المفهوم وضوحا من خلال مناقشتنا لعناصر النظرية ولتصوراتها

النظرية والعملية ، ولخصائصها ، ولانعكاساتها فى النظرية التربوية التى تحتضنهـــا . كما ستزداد وضوحا من خلال مناقشة كل ذلك على النظرية الاسلامية والنظرية التربويـــة فى الاسلام .

العنصر الأول أو المستوى الأول :

القضايا الكبرى والمسلمات الرئيسية

منذ وجد الانسان على ظهر البسيطة ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهـو يتساءل مجموعة من الأسئلة ، ويطرح مجموعة من القضايا الكبرى التى تمس وجـــوده وصلته بالوجود وبالكون ، وبطبيعته ، وبطبيعة الوجود ، وبعلاقته بهذا الوجـــود ، وبخالقه ، وما الى ذلك من القضايا . طرحها الانسان البسيط وطرحها المفكـــرون والفلاسفة وواجهها الأنبياء والرسل قبل بعثهم بالرسالات وبعدها .

وكانت الاجابات التى يتوصل إليها كل فريق تكون قناعاتهم وتشفى ظمأهم للمعرفة وللاجابة عن هذه القضايا فى بعض الأحيان . وفى بعض الأحيان الأخرى ما كانـــت لتروى هذا الظمأ والعطش الفكرى والوجدانى والاجتماعى .

كما كانت الاجابات صائبة فى بعض الأحيان وخاطئة فى بعضها الآخر . ولكنهـا مع خطئها أو صوابها كانت تشكل إجابة ما لهذه التساؤلات . بل كانت تشكل معتقدات وأديان الناس ، توجههم فى حياتهم الدنيا ، وتكون تصورا لهم عن حياتهم الأخرى . بعض هذه الأديان كانت خاطئة لدرجة أن الانسان اعتقد ان خالق الكون وخالقه هـــو نهر أو عجل أو صنم أو شمس أو نجوم أو غير ذلك ، وبعضها الآخر لم يعـــدم الفطرة السليمة فتوصل إلى معرفة الخالق الأعظم لهذا الوجود ولهذا الانسان ..

المهم أن الاجابات الصائبة والخاطئة كونت المعتقدات المختلفة والأديـــان المختلفة والفلسفات المختلفة .

ومنذ أن وجد الانسان على ظهر الأرض أيضا إلى بعث محمد عليه الصلاة والسلام كان الله سبحانه وتعالى ينزل الديانات على من يصطفيهم من خلقه ليصحح على أيديهم

مسار الفطرة البشرية وليهديهم إلى اجابات سليمة عن كل هذه التساؤلات الكبرى وما يتفرع عنها من أسئلة فرعية . وكان آخر هذه الديانات هو الاسلام .. الاجابة الكبرى والشاملة ، والمعالجة المتكاملة لجميع هذه القضايا ، وما يرتبط بها من قضايا الحياة كلها صغيرها وكبيرها وارتباطها بقضايا بعد الحياة من بعث ومصير وثواب وعقاب .

ولذلك فإن الدارس للاسلام من هذه الزاوية (زاوية القضايا الكبرى والقضايا المرتبطة بها) يجده إجابة حاسمة لكل هذه القضايا . الله هو خالق الكون والوجود .. الله واحد لا شريك له .. الانسان جزء من الكون له رسالة وهي خلافة الله على الارض وعمارتها في إطار من العقيدة والقيم والمثل المحددة .. هناك بعث وحساب وعقاب وجنة ونار .. هناك محددات للسلوك البشري تجاه الخالق وتجاه الناس وتجاه الكون .. هناك قيم وحوافز لهذا السلوك .. هناك ثواب .. .. هناك تشريعات تتمثل وتستهدف القيم العليا .. هناك فروض ومنهاج لاستقامة الانسان وتصفية وجدانه وروحه وعقله لكي تصح الفطرة البشرية بكل ما أودع الله فيها من إمكانات . هناك ... هناك .. هناك .. الخ .. هناك في النهاية تصور ومنهاج تطبيقي لتنشئة الجماعة البشرية وتربيتها بحيث تستهدف وتتمثل هذه المضامين التي يحتويها الاسلام كلها .

ومنذ بداية الاسلام فقد طبقت مفاهيمه وأسسه ومبادؤه وتشريعاته على جماعات بشرية متعددة ، ومتنوعة الحضارات فهي نموذجا حضاريا استمر عدة قرون .

وجاءت محاولات الغزو المتكررة لضربه فما ان لبثت هذه المحاولات إلا أن تفهمت مغزاه ومضمونه الحضاري . فدخلت فيه واعتنقته كثير من الشعوب الغازية .. فكان ذلك بمثابة برهان جديد على قوته واعجازه .

إلى أن جاءت آخر محاولات الغزو العسكري من اوربا الصليبية .. وهي المحاولات العديدة المتكررة التي انتهت بفشلها العسكري هذا .. ومعه امتت بمغزاه الحضاري ولكنها لم تؤمن به كدين تعتنقه .. فحاولت على قرون طويلة أن تستعيد ما فيه من قوة دون استعارته هو كدين .. فكانت أن أنشأت جامعاتها على غرار الجامعات

الاسلامية سواء فى مناهجها أو فى نظامها . وقامت صراعات عديدة بين الجامعات ورجال الدين، وبين العلماء والسلطة الدينية والزمنية هناك .. وكانت أن قامت حركات الاصلاح الدينى فى عصر سمى بعصر النهضة الأوربية — ثم أعقب ذلك عصر الاستنارة ، ثم الثورة الفرنسية والثورة الصناعية .. وفى كل هذه الانتفاضات كانت المغازى والمضامين الاسلامية وراءها .. إلى ان جاء القرنان التاسع عشر والعشرين ، فحاولت أوربا أن تتبنى فكرا وضعيا تنفصل به عن الدين فى تسيير وتوجيه كل أمور حياتها معتبرة أن الدين صلة بين الانسان وربه . أما أمور الحياة الأخرى فلابد من تنظيمها وتسيير حركتها وفقا لمنهاج وضعى يجتهد فيه الفلاسفة والمفكرون والعلماء ويطبقونه على أمور واقعهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والتربوى .

فكانت محاولة ماركس فى القرن التاسع عشر نموذجا لهذه المحاولات . وهى محاولة سبقتها محاولات أخرى مثل محاولات الاشتراكيين الفابيين، وتبعتها محاولات مثل محاولات الرأسماليين .

وكانت هذه المحاولات تأخذ ما وسعها الأخذ من أى شىء ومن كل شىء يفيدها فى بناء منظومتها الفكرية وتصوراتها التطبيقية .. ولكنها فى نفس الوقت ترفض ما وسعها الرفض أن تجعل من العقيدة السماوية إطارا لفكرها ، وموجها لتطبيقاتها . محققة بذلك أعظم اخفاقة بشرية فى السير وفقا لفطرة الانسان التى فطره الله عليها .

كانت اجابات ماركس مثلا عن القضايا الكبرى فى حياة الانسان تنأى به عن الخالق سبحانه وعن ارتباط الانسان بخالقه الأعظم ، وعن الجنة والنار ، وعن الحياة الآخرة .. الخ .

وكانت إجاباته عن القضايا المبدئية فى حياة الانسان مثل الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية .. وفى قضايا التشريع والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والتاريخ والتربية تقطع الصلة تماما بين المفاهيم والتصورات والتقنينات التى شرعها الله لمخلوقاته من البشر .

وكانت هذه المحاولات جادة فى أن تجد لنفسها مجموعة من الخصائص والصفات تصف بها نفسها .. هى بالقطع قد سرقتها من الاسلام لسبب بسيط أن وصفها لنفسها

بها كان ومازال ، وسيظل هو السبب فى فشلها ، وفى نفس الوقت هو السبب فى كسب الاسلام للمعركة .

السبب فى فشلها لأنها لم تستوعبها تماما ولم تفلح فى أن تنسج منظومتها بحيث تنطبق عليها .. والسبب فى عظمة الاسلام لانها واضحة فيه ....

من هذه الخصائص والمواصفات مثلا الشمول والتكامل ، والانسانية ، والعالمية ، والمثالية الواقعية ، وبنائها على أساس فطرة الانسان مما سنذكره ونناقشه فى حينه بالتفصيل .

فبالرغم من أن مصطلح " نظرية " لم يرد فى الاسلام إلا أن المحاولات التى حاولها الفكر الوضعى لكى يضع بها مواصفات وخصائص للنظرية جعلتنا ندرك أن الاسلام هو هذه المواصفات والخصائص وأن البناء التربوى فيه ما يعكس هذه المواصفات والخصائص ويتوجه فى اطارها ويبقى الاجيال على هداها .

فإجابة الاسلام على القضايا الكبرى إجابة شاملة عجزت أمامها جميع الإجابات ، كما تعثرت البشرية فى غياب هذه الاجابة الاسلامية .

وهى فى تناسقها مع بعضها وفى تناسقها وتجاوبها مع القضايا المبدئية وقضايا التشريع والاخلاق والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية تجاوب متكامل متناسق يخلو من التناقض . وقائم أساسا على أساس الفطرة الانسانية بحيث لم يجد الباحثون فيه ما يصطدم بالفطرة فى أى صغيرة أو كبيرة فى الوقت الذى اصطدمت المعالجات والاجابات المختلفة فى النظريات البشرية بالفطرة الانسانية فى كل شئ .. وكان فرض افكارها ومفاهيمها يتم بالدم والتعذيب والسجن والتشريد .

ولما كان هذا المستوى أو هذا العنصر هو الذى يحتوى على الاجابات المختلفة للقضايا المختلفة التى تثار على هذا المستوى ، فان اول عنصر فى النظرية هو مسلماتها ومفاهيمها وفروضها الأساسية التى تكون وليدة هذه الاجابات ، ووليدة هذه القضايا الكبرى .

وقد قلنا من قبل أن من هذه القضايا الكبرى : من خالق الكون ؟ ما مصير الانسان بعد الموت ؟ ما طبيعة الخالق؟

واجابة الاسلام عنها كون المفاهيم الرئيسية والمسلمات الأساسية فى نظريته الاجتماعية . ومن قبيل هذه المسلمات عقيدة التوحيد : " قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ..(١)

" قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين " ..(٢)

هذا هو اطار الاسلام ... وهو يكون العقيدة الاسلامية .

والنظرية التربوية فى الاسلام تستند الى هذه المفاهيم والمسلمات الأساسية . فغاية النظرية التربوية فى الاسلام هى تحقيق هذه المفاهيم والمسلمات والاجابات الكبرى فى الانسان وفى المجتمع . وهى المسلمات التى تبدأ منها التربية فى الاسلام فتبنى عقيدة المسلم وفكره عن الخالق سبحانه وتعالى ، وعن الكون ، وعن الوجود ، وعما بعد الوجود على أساسها . ولذلك تعتبر الاطار الفكرى التربوى فى الاسلام . (٣)

.. .. ..

---

(١) قران كريم — سورة الاخلاص

(٢) قران كريم — سورة الانعام

(٣) محمود السيد سلطان ، مفاهيم تربوية فى الاسلام ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٧٨م .

العنصر الثانى أو المستوى الثانى :

المبادىء الأساسية والقيم الانسانيـــــة

المبادىء الأساسية فى النظرية الاجتماعية جاءت نتيجة طبيعية لفطرة الانسان ، وامكاناته العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية. ذلك أن الانسان أحس بها إحساسا كاملا مرة ، وأحس بها إحساسا غامضا مرة أخرى . على كل حال كان الاحساس موجود بشكل ما . وفى المرات التى كان يحس بها ويدركها كانت تمثل بالنسبة له مثاليات يتطلع إليها ، ويناضل من أجلها على مر تاريخه الطويل . كما أن عباقرة الشعوب ، والأنبياء المرسلين كانوا باستمرار يؤكدونها ويقيمون شعائر وتشريعات الدين الذى أرسلوا لتهليغه على أساسها . . وتمثلت فى مبادىء الحريـــة والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية. وهى مبادىء تتشكل فى إطارها علاقات الناس فى الجماعة على جميع مستوياتها ، وفى جميع مظاهرها ، حسب استيعاب الجماعة لمغزاها ولمضامينهـــا . وحسب قدرتها على تجسيدها فى واقع الحياة الاجتماعية على كافة المستويات والأنظمة الاجتماعية.

وبقدر بنائها على أساس من الفطرة ، وبقدر مراعاتها لامكانات الناس ، وبقـــــدر ادراك محدداتها على المستوى الفكرى والمستوى التطبيقى ، وبقدر موضوعيتها فى الصيغـــة وفى التجسيد فى الواقع بقدر ما تسمو بها حياة الانسان ، ويسعد فى ظلها .

ومن خصائص هذه المبادىء الانسانية أنها تعتبر إجابة منطقية وواقعية لقضايا فكريـــة وقضايا اجتماعية وقضايا نفسية يطرحها العقل الانسانى ، وتطرحها تفاعلات الحياة فى الجماعات البشرية . من قبيل تلك القضايا : هل الانسان مسير أم مخير ؟ ما قدر الحريـــــة الذى ينبغى أن يمارسه الانسان أثناء إشباعه لمطالبه الحيوية والنفسية والعقلية والاجتماعيـــة والروحية ، وأثناء تفاعلاته مع بنى جنسه من البشر ؟ ما حقوق الانسان الأساسية ؟ وكيـــف يحصل عليها ؟ وكيف يمارسها ؟ ما القدر المناسب من الواجبات والالتزامات التى يتعـــين عليه القيام بها فى مقابل تلك الحقوق ؟ وهذه القضية الخاصة بالحقوق والواجبات اثيرت فى احضانها قضية المساواة والعدالة الاجتماعية ، مفهوما ، وتطبيقا ، وحدودا ، وأسسا .... وهكذا ...

ومن خصائص هذه المبادىء أيضا — بل وأساسا — أن الاجابات الخاصة بها يجب أن تشكل منظومة متماسكة مترابطة منطقية من ناحية الفكر والواقع ، متسقة مع القضايا الكليـــة ،

ومتسقة مع المستويات التالية فى النظرية بحيث يمكن اتفاقها وترابطها مع التشريعات والقوانين والأخلاق • وبحيث يمكن تجسيدها فى واقع الحياة الاجتماعية وفى سلوك البشر بالتربيـــة والتعليم •

وهذه المبادىء وتطبيقاتها تشكل بنيانا فى بنية النظرية ومنظومتها • ولذلك فـــان أى ضعف فيها يشكل تهديدا خطيرا لمقومات " النظرية " • ولقدرتها على الاستمـــــرار ولقدرتها على إشباع مطالب البشر وحاجاتهم فى هذا الباب •

ولهذا تحاول الماركسية — مثلا — كما تحاول غيرها من النظريات أن تقوم نفسها عـلى مثل هذه المبادىء نظريا على الأقل • أو تدعى لنفسها أنها تحققها للانسان • بل تدعـى أنها هى الوحيدة التى تحققها فى الجماعة • وأثناء التطبيق يظهر القصور والعجز فى بنيـــة هذه المبادىء وأسسها •• وسرعان ما يظهر هذا الضعف أمام القادة وأمام الشعوب • فلا يلهثوا أن يغيروا فى التصورات وفى المفاهيم وفى التطبيق •• ولكن يظل الهوى البشرى هو العنصـــر الحاكم فى التطبيق وفى الممارسة •• فيظهر التناقض الحاد بين الأساسين النظرى والتطبيقـى للنظرية • إذن فالسبب الرئيسى فى ضياع هذه المبادىء فى النظريات الاجتماعية البشريـــة على المستوى الفكرى والتطبيقى هو غياب الموضوعية لتدخل الهوى الانسانى فى صياغتها وفـــى تطبيقها •

أما الاسلام — دين الفطرة — المنزل من الخالق سبحانه وتعالى فالسبب الرئيســى فى وضوح هذه المبادىء والقيم فيه وفى تصوير الصيغ الرئيسية لتطبيقها • وفى افساح المجال أمامها لتتمثلها التشريعات والقوانين والتربية الاسلامية فهو أولا : بناؤها على الفطرة الـــتى فطر الله الناس عليها لأن صانعها هو الله ومن أعلم بمن خلق مثله فهو الخبير العلـــــيم • وثانيا : تنزه الخالق سبحانه عن الهوى فى تحديدها وفى بناء النظرية على أساسها وفـــى تمثل التشريعات والقوانين السماوية والتربية الاسلامية لها • بل إن الله سبحانه وتعالى قد نزه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن الهوى الانسانى مع أنه من البشر؛ كما جاء فى القرآن الكريم يؤكد ذلك " انما أنا بشر مثلكم يوحى الى •• " وتنزيه الله سبحانه لنبيه قوله " وما ينطق عـن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القـوى "•

أما الأمثلة التى صاغها الاسلام خاصة بهذه المبادىء فهى عديدة تجل عن الحصـــــر ويمكن أن نذكر بها فقط • ومنها موقف رسول الله من شفاعة أسامة بن زيد فى حد مـــــن

حدود الله . وهو موقف يجانب أنه يقرر الاخلاق والقيم فإنه يشرع للمساواة بين الناس في الجماعة . وكذلك منها موقف عمر بن الخطاب من ابن عمرو ابن العاص والمصري ، وموقف الاسلام من الشورى ، وموقف الاسلام من العدالة الاجتماعية (١) ، وموقف الاسلام من المساواة بين الجنسين وبين الزوجات . وموقف الاسلام من المساواة بين الناس في كل العبادات وأمام القانون ..

وإذا كانت النظرية التربوية لابد وأن تستند إلى نظرية اجتماعية ، أو أن النظرية الاجتماعية من الضروري ان تحتضن نظرية تربوية لكي تحقق مبادئها ومثلها وقيمها العليا فان النظرية التربوية في الاسلام تجد نفسها أمام مجموعة من القيم والهادي المصاغة بحكمة وبدقة تهيء لها القدرة على صياغة أهدافها وخبراتها ووسائلها لكي تحقق بناء الانسان العادل المتمتع بكافة الحقوق الانسانية والمؤدي لكافة الواجبات البشرية تجاه نفسه ، وتجاه مجتمعه ، وتجاه ربه .

كما أن هذه الهادي ما هي إلا استجابة طبيعية لفطرة الله سبحانه وتعالى التي فطر الطبيعة البشرية عليها . فالحرية مبدأ انساني ومطلب نفسي وعقلي . والمساواة بين البشر قيمة فطرية في الانسان إذا افتقدها أحس بالظلم وبعدم الرضا عن حياته . والعدالة مطلب انساني اجتماعي يتطلبه الانسان ، وتتطلبه الجماعة البشرية . وفي غيابها تضطرب القيم والمفاهيم ويعم الظلم وتعم المفاسد بين الناس . هذه المطالب تبدو بشكل واضح وتظهر كمطالب انسانية واجتماعية في ظل الفطرة البشرية السليمة . أما إذا ما سقمت الفطرة البشرية واعتلت فإن درجة إحساسها بضرورتها تقل بشكل جزئي مؤقت . ولكن يظل عدم الرضا هو المسيطر على حياة الانسان وحياة الجماعة في غيابها .

إن هذه الهادي والقيم الانسانية هي العنصر الثاني للنظرية التربوية في الاسلام . وهي ترتبط بالعنصر الأول ارتباطا أساسيا ومبدئيا .. فعبادة الانسان لله هي تحرير له من عبودية للأشياء وللأشخاص فلا يخشى أحدا إلا الله ولا يتقبل إلا من الله ، ولا يتجه إلا الى الله سبحانه وتعالى .

وحدود الفعل الانساني الحر تتحدد بتشريعات الله (٢) التي بنيت على أساس من الفطرة الانسانية التي فطرنا الله عليها ، والذي هو أعرف بها فهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير .

---

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، بيروت ، دار الشروق .
(٢) وهي التي تكون العنصر الثالث في النظرية الاسلامية والنظرية التربوية في الاسلام .

ولذلك نجد الاسلام فى تشريعاته وفى بنائه لمبادئه وقيمه وفى بنائه لنظريته التربويـــة يستند على نظرية فى الطبيعة البشرية تتصف بالتكامل والمرونة ، والقدرة على معرفة الخـــــير والشر وحرية الاختيار بينهما . (١)

هذه المبادىء والقيم التى تكون العنصر الثانى فى النظرية الاجتماعية وفى النظرية التربوية هى التى تكون نظرية القيم التى تستند اليها النظرية الاجتماعية ، وتتمثلها النظرية التربويـــة فى مناهجها وأهدافها وكتبها وطرائقها ووسائلها واساليبها . وهذه كلها عمليات علمية وفنية يتقنها علماء التربية ، وواضعوا المناهج وفلاسفة التعليم .

.. .. ..

---

(١) محمود السيد سلطان ، مفاهيم تربوية فى الاسلام ، مرجع أسبق .

العنصر الثالث أو المستوى الثالث :

الشـرائع والقوانـين

الشرائع والقوانين هى التقنين والتنميط الرئيسى للعلاقات داخل الجماعة ، وللعلاقات بين الجماعة والجماعات الأخرى ، بل وبين الجماعة والأشياء فى الكون . وبدونها لا تنتظم الحياة الاجتماعية أو تستقر أو تستمر . وهى التى تمثل الضبط الخارجى للسلوك البشرى فى أى جماعة من الجماعات .

والقوانين والشرائع لابد وأن تتمثل القيم والمثل العليا ، والمبادىء الأساسية التى تنتظم فى الاطار الفكرى والأيديولوجى للنظرية الاجتماعية التى تدين بها الجماعة . كما وأنها لابد وأن تعبر عن روح الجماعة التى سنت من أجلها ...

فالتشريع الاسلامى يتمثل القيم والمثل العليا والمبادىء الأساسية التى تنتظم فى الاطار الفكرى للاسلام ، والتى تنتظم فى العنصر الثانى كذلك من نظريته . كما وأنه يتمشى مع روح الجماعة الاسلامية التى التمس بناءها على الأرض ، وفيها جميع امكانات الفطرة البشرية ..

كما حاولت التشريعات الوضعية فى اطار الفكر الراسمالى أو فى إطار الفكر الاشتراكى أو فى إطار الفكر الشيوعى أن تتمثل مبادىء وقيم ومثل كل نظرية اجتماعية تنبع منها .

فى التشريع الاسلامى لا تتغير القوانين ولا التشريعات السماوية لسبب بديهى هو أن القيم والمثل العليا والمبادىء الأساسية لا تتغير لأنها قائمة على فطرة الانسان . وفطرة الانسان نفسها لم تتغير منذ خلق الله الانسان (١) " فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٢) .

وقد سبق أن نوهنا أن قيمة هذه التشريعات الاسلامية تكمن فى موضوعيتها لأنها من الخالق سبحانه وتعالى وهى بذلك منزهة عن الهوى الانسانى . كما أنها منزهة عن القصور والخطأ الانسانى .

---

(١) محمد قطب ، التطور والثبات فى حياة البشر ، بيروت ، دار الشروق .
(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

وإذا كانت التشريعات تمثل الضابط الاجتماعى الخارجى لسلوك الانسان فى الجماعة فإن التربية هى البانية للضابط الداخلى للسلوك الانسانى كما أنها توجد توافقا بين الضابط الاجتماعى الداخلى والخارجى فى حياة الجماعة • فهى التى تبنى فكر الانسان واستيعابه للتشريع ولحكمته ولأهميته فى انتظام الحياة الاجتماعية،وهى التى تبنى الضمير والقيم والمثل فى داخل الانسان • فيتلاقى الفكر مع الضمير فتنسجم الشخصية وتنسجم الجماعة فى إطار هذه القيم •

ومن هذا ندرك أن "النظرية التربوية" تلعب دورا هاما فى باب التشريعات والقوانين • وبناء السلوك البشرى على أساسها • فهى تلتقى معه فيما تستهدفه من بناء سلوكى فى حياة الانسان والجماعة •

وإذا كان بنيانها لابد وأن يتمثل ويتضمن التشريع والقوانين فإن ذلك يكون بتمثل القيم والمفاهيم التى تكون محتوياتها • كما أن على التربية أن تعكس ذلك فى كل قوانينها وتشريعاتها •

.. .. ..

العنصر الرابع أو المستوى الرابع:

التربية والتعليم والتفقه والتطبيق

هذا العنصر وإن جاء ترتيبه الرابع فى التحليل ، فاستراتيجيته تجعله الوجه الآخر للنظرية الاجتماعية. وهو الوجه الاجرائى لها .. وبغيره تصبح النظرية محلقة فى سماء المثاليات ولا تنزل الى أرض الواقع الاجتماعى . وهو من حيث البنية يوازى بنية النظرية الاجتماعية ، ويتمثل عناصرها . ولذلك فإن عناصره تناظر عناصر بنية النظرية الاجتماعية . كما أن التطبيق العملى للنظرية التربوية لابد وأن يتواكب ويتآنى مع تطبيق عناصر النظرية الاجتماعية وجزئياتها .

قد تفرض نظرية اجتماعية على المجتمع بالقوة ، ولكنها بغير التربية والتنشئة الاجتماعية على مثاليات هذه النظرية وعلى أهدافها وقيمها ومبادئها فإنها تصبح محكوما عليها بالانهيار وعدم الاستمرار والبقاء .

والاسلام قد نزل أساسا من الله سبحانه لتربية البشر على مسلماته ومفاهيمه واجاباته للأسئلة الكبرى التى تصادف الانسان فى حياته باعتباره انسانا مفكرا ، وعلى مبادئه وقيمه الأساسية التى تعتبر أساسا من أسس الطبيعة الانسانية . وتحديد الاسلام لها على أساس فطرة الانسان هو الذى جعل لها تلك القيمة الكبرى على المستويين النظرى والتطبيقى . ولذلك فان برامجه فى العبادة ما هى إلا برامج تربوية بالدرجة الأولى لبناء الانسان بناء فكريا واجتماعيا ونفسيا وروحيا وجسميا . ولسنا فى حاجة الى تفصيل الجانب التربوى لفريضة الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد — الجهاد الحربى أو الجهاد النفسى — فكلها معروفة حتى لعوام المسلمين .

ولسنا فى حاجة إلى توضيح كيف أن البناء التربوى الاسلامى قد استند الى نظرية متكاملة فى الطبيعة البشرية (١) والى نظرية فى المعرفة تتكامل فيها الجوانب الفكرية والحسية والروحية (٢) مما لم نجد مثيلا له فى فكر تربوى آخر .

---

(١) انظر فى هذا الصدد بحثنا " المغزى التربوى للطبيعة البشرية فى الاسلام " مجلة كلية التربية ، ١٤٠٠هـ ، مقدمة فى التربية — الطبعة الرابعة ١٩٧٩ ، دار المعارف بمصر .
(٢) المرجعين السابقين .

خصائص النظرية الاجتماعية والتربوية فى الاسلام

نعرف أن النظرية التربوية بالمفهوم المعاصر بناء فكرى تطبيقى متكامل الحلقات شامل لكل جزئيات العمل التربوى ، يستند إلى نظرية اجتماعية هى نفسها بناء فكرى تطبيقى متكامل الحلقات شامل لكل جزئيات الحياة .

وكما تتصف النظرية الاجتماعية بالشمول والتكامل والتناسق والتسلسل والترابط المنطقى فى كل جزئياتها وفى جميع كلياتها ، فان النظرية التربوية التى تستند اليها تتمتع بنفس هذه الخصائص والصفات ، أو هكذا يجب أن يتصفا .

وكما تتصف النظرية الاجتماعية بانسانيتها وعمومها بمعنى أنها تبنى على أساس خصائص الطبيعة البشرية الثابتة ، وعلى أساس فطرتها التى فطرها الله عليها وما احتوت عليه من مبادىء وقيم بلورها التاريخ الانسانى فى معركته مع الحياة ، فإن النظرية التربوية تبنى هى الاخرى على أساس خصائص الانسان الثابتة وفطرته السليمة وما احتوت عليه من مبادىء وقيم ، وما ترجم فى أنماط اجتماعية وثقافية خلال عمليات التفاعل التربوى مع خبرات الحياة ، واشباع مطالبها .

والنظرية التربوية فى الاسلام اذا أردنا أن نحدد معالمها ، وبنيتها ، وخصائصها فمن الطبيعى أن نفكر فى الاسلام كنظرية اجتماعية كبرى تعالج قضايا الحياة كلها ، بل وقضايا ما بعد الحياة . ففكر الاسلام على المستوى النظرى ، وعلى المستوى التطبيقى هو المحدد الأساسى للنظرية التربوية فى الاسلام .

وفى أحضان الفكر الاسلامى ، وفى ظلة النظرية الاجتماعية الاسلامية اجتهد المفكرون المسلمون ، واجتهد الممارسون التربويون فى الوصول الى آراء تربوية كانت تتبلور وتطبق على هدى توجيهات هذا الاسلام ومتطلبات العصر الذى وجدت فيه .

فهم وإن كانوا لم يُنَظِّروا مثلما نفعل فى عصرنا لبنية النظرية التربوية فى الاسلام ، وبالتالى لم يسترشدوا بتنظير تربوى فى ممارساتهم التربوية ، وفى بنائهم لنظمهم التربوية ، إلا ان الاسلام بمفاهيمه الواضحة وخصائصه الفريدة وأبعاده الشاملة وأعماقه العميقة كان الاطار الذى يوجه أى تفكير ، وأية ممارسة اجتماعية أو تربوية ، فكانت الآراء التربوية تستند أساسا الى الاسلام ، والاسلام أساسا يحتوى على مقومات النظرية بالمعنى المعاصر لمصطلح نظريته .

واذا أردنا أن ننظر للتربية الاسلامية فى عصرنا الحاضر لوجدنا بمنتهى اليسر والسهولة مقومات " النظرية الاجتماعية " التى تستند إليها وهى الاسلام بكل عناصره ومستوياته . وقد أوضحنا سلفا أن الاسلام يحتوى على العناصر الرئيسية للنظرية الاجتماعية فهو الاجابة الحاسمة لجميع القضايا الكبرى فى حياة الانسان والمجتمع وهو الاجابات الدقيقة والتحديدات العميقة لقيم الانسان وللمبادىء الأساسية فى حياته وحياة الجماعات البشرية . إجابات وتحديدات عن الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية . كما أنه قد احتوى على تشريعات لكل النظم الاجتماعية فى المجتمع من نظم سياسية واقتصادية وقضائية وأمنية وأخلاقية وترفيهية وتربوية .

والاسلام يتصف بالشمول والتكامل والتسلسل المنطقى والترابط والموضوعية والعالمية والانسانية .. الخ . ما يمكن أن تتصف به النظرية الاجتماعية الفريدة .

والتربية — فى الاسلام — وهى تستند إلى نظرية اجتماعية اسلامية بهذه " الخصائص " وبتلك " البنية " إنما تتمثل وتستمطن نفس الخصائص ونفس البنية .

فلها مسلماتها وقضاياها الكبرى ، وفيها إجابات عن هذه القضايا بنفس الخصائص من شمول وتكامل ومنطق وتسلسل وترابط وموضوعية وانسانية وعالمية على نحو ما سيتضح فيما بعد .

وفيها " المبادىء والقيم الانسانية العليا " بنفس الصفات والخصائص السابقة . وفيها التشريعات والقوانين التى تستمطن المبادىء والقيم الانسانية التى تتضمنها النظرية الاجتماعية .

وهى تستند إلى نظرية فى " الطبيعة البشرية " تراعى فطرة الانسان وجميع امكاناته ، والى نظرية فى " المعرفة " تراعى النواحى العقلية والحسية والروحية فى اطار من التكامل لم يتحقق لغيرها .

.. .. ..

فنظرة الاسلام الى الخالق سبحانه والى الكون والى الحياة وما بعد الحياة هى المسلمات العقلية والروحية والحسية التى تنطلق التربية الاسلامية منها . فتتشكل أهداف تربية المسلم من هذه المسلمات . كما يمارس جميع خبرات التربية وتفاعلاتها فى إطارها .

وإذا كانت النظرية التربوية الاسلامية تستند الى نظرية الاسلام فى " القيم " ، والى

نظريته فى " الطبيعة البشرية " ، والى " نظريته فى المعرفة " ، فإن مناهج التعليم الاسلامى تستنبط وتحتوى على هذه القيم وتراعى طبيعة الانسان وخصائصه الانسانية ومكوناته الحيوية والروحية والعقلية .

وهى فى مراعاتها لهذه الخصائص والمكونات تتبنى نظرية فى المعرفة تأخذ بمصادر المعرفة الإلهية والحسية والعقلية التى وهبنا الله إياها . كما أن طبيعة " المعرفة " فى الاسلام لها نفس الخصائص الروحية والحسية والعقلية . ولذلك فان التربية تنمى الجوانب الروحية والحسية والعقلية فى الانسان وصولا الى هذه المعرفة .

ونستطيع — بعد كل ذلك — أن نلخص خصائص النظرية التربوية فى أحضان النظرية الاجتماعية فى الاسلام على النحو التالى :

■ الخاصية الاولى : الشمول والتكامل

إن أول ما تتصف به النظرية الاجتماعية الاسلامية والنظرية التربوية فى الاسلام ما يلى :

(١) الشمول لجميع قضايا الحياة وما بعد الحياة .(١)

(٢) الشمول لجميع مبادىء وقيم الانسان وقيم الحياة فى الجماعة البشرية .

(٣) الشمول والتكامل فى النظرة الى طبيعة الانسان وطبيعة الجماعة ، وطبيعة الثقافة .(٢)

(٤) الشمول والتكامل فى النظرة الى طبيعة المعرفة والى مصادرها وأهدافها .(٣)

(٥) الشمول والتكامل فى معالجة قضايا التربية والتعليم فى مراحل العمر المختلفة ، وفى تربية الانسان المتكامل .(٤)

ولذلك نجد هذه الخاصية واضحة فى النظرية التربوية فى الاسلام . فحينما تتناول الانسان بالتربية والتنشئة وبالتعليم تتناوله ككل جسميا وعقليا ونفسيا وروحيا . فتهتم كشخصية متكاملة بواسطة منهج تربوى متكامل الخبرات كل خبرة فيه شاملة للعناصر التربية كلها .. شاملة لعناصر روحية ، ولعناصر جسمية ، ولعناصر عقلية ، ولعناصر نفسية .

---

(١) ويتأكد هذا الشمول بقول الله تعالى : " ما فرطنا فى الكتاب من شىء " .

(٢) ، (٣) ، (٤) انظر فى هذا الصدد بحثنا فى " الطبيعة البشرية فى الاسلام ومغزاها التربوى " بحث فى مجلة كلية التربية ، جامعة الملك عبدالعزيز — تحت النشر ، كتابنا مقدمة فى التربية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م . ، كتابنا مفاهيم تربوية فى الاسلام ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٧٨م .

والنظرية التربوية فى الاسلام فى هذا المنحى لا تغلب جانبا على آخر ، ولا تضحى بجانب فى سبيل جانب آخر . فإذا ما غلبت الجانب الروحى ربت لنا رهبانا . ولا رهبانية فـــى الاسلام " . واذا غلبت الجانب العقلى انحرف الانسان عن جادة الصواب ورأينا فكرا كفكـــر المعتزلة الذين تطرفوا فى نظرتهم للنصوص الدينية . وإذا غلبت الجانب الحيوى ابتعـــدت عن الاسلام كلية . وإذا غلبت هوى النفس ابتعدت كذلك عن الاطار الاسلامى .

ولقد حدثت هذه الانحرافات الفكرية والاجتماعية فى تاريخ الاسلام نتيجة لبعد الناس عن هذه الخاصية الأساسية فى الاسلام وفى منهاجه التربوى .

والنظرية التربوية فى الاسلام كانعكاس للنظرية الاسلامية وفقا لهذه الخاصية ترفـــض أيضا أن تغلب جانبا على آخر فى نظرتها للمجتمع وتعاملها معه ومع نظمه وأهدافه وأوضاعـــه وأناسه ، واعمالهم المختلفة . فهى ترفض أن يكون الاقتصاد هو المحرك الأساسى لحياة الجماعة أو هو الهدف من كل عمل يقومون به . فهذه النظرة من شأنها أن تجعل من الناس مسيريـــن بأمر المادة وبدوافع الاقتصاد فحسب .

صحيح أن ركنا اساسيا من رسالة الانسان على الأرض هو عمارة هذه الارض ، ولكن ذلك — وفقا لنظرية الاسلام — لا يكون إلا فى اطار من القيم التى حددها الاسلام ، كما لا يكـون إلا فى تكامل مع الدوافع العقلية والروحية فى الانسان . وبالتالى لابد من تكامل الجوانب الروحيـة والاقتصادية فى حياة الجماعة ، كما لابد من تكامل أهداف الانسان مع أهداف الجماعة وفقـــا لذلـــك .

والنظرية التربوية فى الاسلام تجعل من هذا التكامل أمرا اساسيا فى بنائها لأهدافهـــا حتى تتفق أهداف الانسان مع أهداف الجماعة . كما تجعله أمرا اساسيا فى مناهجها حتى تتكامل جميع جوانب شخصية الانسان . فتتكامل أهدافه ، وتتضح رسالته فى هذه الحياة .

■ الخاصية الثانية : التسلسل وعدم التناقض :

التسلسل وعدم التناقض فى النظرية الاجتماعية والنظرية التربوية فى الاسلام :

تبدو خاصية التسلسل وعدم التناقض كخاصية أساسية فى الفكر الاسلامى وفى الفكر التربـوى الاسلامى فيما يلى :

(١) معالجة القضايا الكبرى وفى معالجة قضايا القيم والمبادىء الانسانية الأساسية بدون تناقض بين جزئياتها أو تناقض بين كلياتها ، أو تناقض بين كلياتها وجزئياتها .

(٢) عدم التناقض بين التشريعات الاسلامية وبين القيم والمبادىء الأساسية ، ولا بينهـــا وبين اجاباته عن القضايا الكبرى . بل إن التشريعات والفرائض والتكاليف قد تجسدت المبادىء والقيم والاجابات الكبرى عن القضايا الكبرى التى شكلت الجانب العقدى فـــى الاسلام .

(٣) عدم التناقض بين الأساس النظرى للنظرية الاجتماعية وتطبيقاتها . ولا بين الأســـاس النظرى للنظرية التربوية وتطبيقاتها ، ولا بين النظرية الاجتماعية والنظرية التربوية .

والدليل على ذلك كتاب الله الذى ناقش هذه القضايا كلها . وهو بذلك كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

■ الخاصية الثالثة : الانسانية والعمومية والعالمية :

وتظهر هذه الخاصية واضحة مما يلى :

(١) أنها قائمة على أساس فطرة الانسان وعلى أساس قيم الانسان ، وعلى أساس المبـــادى الانسانية فى تكوين الانسان ، وعلى أساس مطالبه الضرورية منها وعلى أساس الاجابـــات المختلفة لجميع قضايا الحياة الكبرى وما بعدها . وهى كلها أمور ثابتة لا تتغير بتغـــير الزمان ولا بتغير المكان ...

(٢) ومن ثم فالنظرية الاجتماعية وفى أحضانها النظرية التربوية فى الاسلام جاءت تراعى هـــذه الفطرة فى كل زمان وفى كل مكان . ومن ثم أيضا فهى صالحة لكل زمان ولكل مكان .

فالنظرية الاسلامية وفى أحضانها النظرية التربوية إنسانية لأنها تقوم على الفطرة الانسانيـــة وعلى المبادىء الأساسية التى تنطلق من هذه الفطرة مثل الحرية والمساواة والعدالة . كما أنهـــا تنهى كل تنظيم بشرى يتجسد هذه المبادىء وتحققه فى المجتمع من خلال النظام الأيديولوجـــى والنظام التربوى .

والنظرية الاسلامية وفى أحضانها النظرية التربوية إنسانية وعامة وعالمية لأنها لا تقوم عـــلى الجنس أو على الطبقة أو على الأجناس . " لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أحمر ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول الله سبحانه وتعالـــى:

" إن أكرمكم عند الله أتقاكم " فمعيار التفضيل والتمايز بين الناس هو التقوى .. تقوى الله في العبادة ، وتقوى الله في عمارة الأرض ..

وعموميتها ، وعالميتها وانسانيتها يشير اليها القرآن الكريم في الاية : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " صدق الله العظيم .

ونحن نعلم جيدا أن الاسلام لم يميز في تعاليمه وفرائضه وتكاليفه بين رجل وامرأة أو بين جماعة وأخرى ، أو بين جنس وآخر ، أو بين ابيض أو أسود . فالاسلام هو النظرية الاجتماعية الوحيدة التي شرعت للناس جميعا بلا فارق بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو اللون أو الدين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

وجاءت نظريته التربوية لتبني أهداف التربية ، ومناهجها ، وطرائقها وأساليبها لتحقيق هذه المبادئ في واقع الحياة على نحو ما سنناقش في الصفحات التالية .

■ الخاصية الرابعة : الاسلام بين المثالية والواقع :

الاسلام يجيب عن القضايا الكبرى في حياة الانسان . ويحدد له المثل العليا والقيم الرفيعة . ويؤكد على المبادئ الأساسية في حياة البشر . ويحدد بتشريعاته المختلفة كل نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية والقانونية والترفيهية . وتستبطن تشريعاته هذه جميع القيم السامية ، وتتمثل كل المبادئ الأساسية في حياة الانسان والجماعة .

وهو إذ يجيب عن كل القضايا ، ويحدد جميع القيم والمبادئ ، ويتمثل ويستبطن هذه المبادئ والقيم ويشد الانسان الى أسمى درجة ، فإنما يحدد بتصوراته ومحدداته الواضحة والواقعية تجسيداتها في واقع الحياة البشرية .. في السياسة .. في الحكم .. في الاقتصاد .. في الاجتماع .. في القوانين .. في الاخلاق ... في التربية ، والتنشئة الاجتماعية ، والتعليم .

والتربية بكل ما تستهدف أن تحققه في البشر ، وبكل مكوناتها وعناصرها وبكل محتوياتها ، وطرائقها ، وبكل تنظيماتها وإداراتها وتدريسها ومدرسيها ، إنما تجعل السلوك الانساني متمثلا ومستبطنا لكل هذه القيم ، والمبادئ ، ولكل الاجابات الحاسمة لقضايا الانسان

الأساسية ، ولمسلمات الاسلام الرئيسية والفرعية؛ المتعلقة بالجماعة الانسانية وبالكون وبالحياة وما بعد الحياة وما وراء الطبيعة .

ولذلك نجد الأخلاق فى الاسلام ليست تلك الاخلاق المجردة التى انحرفت بالفلاسفة وبعض مفاهيم الأديان الأخرى عن الحياة الواقعية للبشر ، وابتعدت بهم عنها وحلقت بهم فى سماء مثاليات جوفاء من القيم الواقعية التى تفرزها الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى واقع المجتمعات البشرية .

كما نجد المبادىء الانسانية والاجتماعية التى يصوغها الاسلام مبادىء تبنى على أساس الواقع الحيوى والفسيولوجى والنفسى والاجتماعى والعقلى والروحى الذى تتكون منه فطرة الانسان التى فطره الله عليها كانسان فى جماعة بشرية ينشأ ويشب ويعيش وينمو متفاعلا معها وبها مؤثرا فيها ومتأثرا بها .

ولذلك نجد هذه المبادىء تتجسد فى أشكال وتنظيمات اجتماعية فى الجماعة البشرية تبرز مفاهيم هذه المبادىء الاساسية من عدالة اجتماعية ، ومساواة بين البشر، ومن اشتراك بينهم فى اتخاذ المقررات والقرارات الحاسمة فى كل أمور حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والتقنية .

كما نجد العلم والمعرفة التى تشكل عقول الناس فى اطار الاسلام ، سواء منها المعرفة الخاصة بالخالق الأعظم وتوجيهاته للحياة وما بعدها أو المعرفة الخاصة بشئون الدنيا فى كافة ميادينها ومجالاتها ، معرفة تطبيقية توجه السلوك الانسانى وتوجه الجماعة البشرية وتوجه مجالات الاستثمار فيها " لا خير فى علم لا ينتفع به " .

كما نجد التشريعات والقوانين فى الاسلام أمورا واقعية بنيت على أساس مكونات الانسان فى الجماعة وامكانات نموها ، وقد صيغت فى صورة توجه مسيرة الجماعة البشرية فى إطار القيم والمبادىء العليا والسامية السابقة . وهى تلك المبادىء والقيم المثالية الواقعية فى نفس الوقت — كما أشرنا الى ذلك من قبل .

كما نجد التربية فى الاسلام هى الاجراء العملى والتطبيقى لتحقيق ذلك اللقاء الحى بين عالم المثاليات وعالم الواقع الاجتماعى للحياة البشرية .

هى التى تصوغ أهدافها وبرامجها ومناهجها ووسائلها وطرائقها وتعد مدرسيهـــا وتهيئ مساجدها ومدارسها ودور العلم لتحقيق ذلك الاندماج والتزاوج والمعانقة الطبيعيـة بين عالم المثاليات وعالم الواقع فى الناشئة والشباب والشيخ .. فى كل الأعمار .. فى كل الفئات .. فى كل الأجناس .. فى كل من الجنسين .. لتتحقق فى النهاية تلك الجماعـة الاسلامية التى ينشدها الاسلام ، والتى غدت فى عالمنا المعاصر وكأنها ضرب من المستحيلات، وما هى بذلك .

مناهج البحث فى النظرية التربوية الاسلامية :

ذكرنا أن النظرية التربوية فى الاسلام تعتمد على مناهج البحث العلمية وعلى منهج التحليل العقلى ، والتحليل التاريخى ، والمدخل الروحى . ويبقى لنا هنا أن نتساءل عن مكانة كل من هذه المناهج فى بناء النظرية التربوية الاسلامية .

يخطىء من يظن أن الاسلام لم يَدْعُ الى البحث والتقصى فى حقائق الكون . وحقائق الأوضاع والظواهر الاجتماعية ، وحقائق وظواهر النفس البشرية . يقول الله سبحانه وتعالى آمرا بالتأمل والتفكير فى خلق السموات والأرض وصولا الى الحقائق العلمية :

" قل انظروا ماذا فى السموات والأرض .. "(١)

" وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه .. "(٢)

" إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنـــا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار " (٣)

" أولم يتفكروا فى أنفسهم ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحـق وأجل مسمى ". (٤)

" وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون "(٥)

" كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ". (٦)

" قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون " . (٧)

---

(١) سورة يونس الآية ١٠٢ . (٣) سورة آل عمران الآيات ١٩٠-١٩١
(٢) سورة الجاثية الآية ١٢ . (٤) سورة الروم الآية ٨ (٥) سورة الحشر الآية ٢١
(٦) سورة البقرة الآية (٧) سورة الأنعام الآية ٩٨ .

" ونفصل الآيات لقوم يعلمون " .

" قل إنما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا " .

هذه الآيات السابقة كلها وغيرها كثير قد وردت في القرآن الكريم تدعو الناس الى التفكير والتأمل في حقائق الكون ، وآياته ، وفي حقائق النفس البشرية، مؤكدة قدرة الانسان على التفكير وعلى استخدام هذا التفكير في معرفة أسرار هذا الكون الطبيعي، وهذا الكون النفسي .

كما نلاحظ من الآيات السابقة أن المنهج العلمي في اطار الاسلام ليس منهجا قاصر النظر كما هو الحال في النظريات العلمية البشرية ، وإنما هو منهج مترابط مع المناهج الأخرى في الوصول الى أسرار هذا الكون . ففي الآيات السابقة يرتبط المنهج الروحي بالمنهج العقلي بالمنهج العلمي . فالقيام ، وهو منهاج روحي يرتبط بالتفكير وهو منهج عقلي، وبحث حقائق الكون وهو منهج علمي .

وفي اطار الفكر البشري وخاصة الفكر الغربي المعاصر نلاحظ ثلاثة مستويات للحقائق : حقائق علمية يمكن إثباتها بواسطة المشاهدة والتجربة كأسلوبين من أساليب المنهج العلمي ، وحقائق عقلية يمكن التوصل اليها بالمنطق العقلي والاستدلال المنطقي ، وحقائق ثالثة يمكن التوصل اليها بمنهج آخر سمي عند المتصوفين بالحدس وعند بعض الفلاسفة بالبصيرة أو الالهام .

ويترتب على ذلك أن علماء العلوم الجزئية يقفون عند حدود الحقائق العلمية لا يتجاوزونها . وأن الفلاسفة يقفون عند حدود التفكير العقلي لا يثقون في غيره . وأن المتصوفين يقفون عند حدود المعرفة الحدسية ، ويعرفون الحدس بأنه نور فطري في النفس البشرية يدرك الحقائق دفعة واحدة وليس على التوالي .

أما الاسلام فانه يثق في قدرة العقل إذا نما في اطار من مسلمات الاسلام ومبادئه وقيمه ، وفي الروح اذا تطهرت بالعبادة والدعاء والذكر في اطار من الوعي الكامل ، والتفكير التأملي في آلاء الله وفي قدرته وعظمته كما تبدو في مخلوقاته كلها بما فيها الانسان ذاته .

وهذه الدوائر الثلاث متفاعلة ومتكاملة من المنظور الاسلامي تمكن الانسان من

أن يصل الى أكبر الحقائق .. إلى الله سر هذا العالم وخالقه . كما يصل الى حقائق في هذا الكون وحقائق وراء هذا الكون لا يستطيعها إلا من يتبع هذه الجوانب المختلفة كلها . (١)

ومن هذا التحليل السريع يمكن أن نعرف أن النظرية التربوية الاسلامية كانعكاس للنظرية الاسلامية في بنيتها وخصائصها ومناهجها إنما تعتمد على هذه المناهج الثلاث في بناء البشر للجماعة الاسلامية . تعتمد على المنهج العلمي والمنهج العقلي والمنهج الروحي في بناء الانسان وبناء الجماعة . ولكن - كما ذكرنا - لا تعتمد عليها منفصلة عن بعضها كما هو الحال في النظريات التربوية البشرية وانما تعتمد عليها متفاعلة ومتكاملة مع بعضها .

فحقائق العلوم الطبيعية والكونية والفلكية تدرس بمنهج علمي في اطار الفكر الاسلامي . والاستدلال العقلي لابد وأن يكون في اطار المنهج الروحي . وهكذا ..

وهذه المناهج - العلمية والعقلية والروحية - تحدد لنا وتجيب عن سؤالين هامين يطرحان ضمن ما يطرح في مجال التربية في أي مكان وفي أي زمان وهما : ماذا نعلم ؟ وكيف نعلم ؟

هذا عن المنهج العلمي والمنهج العقلي والمنهج الروحي . فماذا عن المنهج التاريخي ؟

المعروف أن أية نظرية اجتماعية أو تربوية تحاول أن تستند الى التاريخ لتدعم بعض موقفها ، وتؤيد به مقرراتها .

وهذا ما نلاحظه مثلا في الماركسية حينما فسرت التاريخ تفسيرا ماديا جدليا ، وحاولت أن تحد من هذا التفسير الجدلي المادي للتاريخ ما يؤيد منطلقاتها ومقرراتها وتصوراتها .

فماذا عن المنهج التاريخي في الاسلام وفي النظرية التربوية الاسلامية ؟

القرآن الكريم قد حوى خبر من عاشوا قبل الاسلام . ولهذه الأخبار وظيفة كبرى في الاستدلال على عظمة القيم والمبادئ والتشريعات التي تساير الفطرة الانسانية السليمة ، وعظمة السير وفقا للصراط المستقيم الذي أنعم الله به على عباده المؤمنين . كما أن فيه تأكيدا على أن البشرية كانت تخسر باستمرار اذا ما غلبت نوازع الشر فطغت على نوازع الخير وانحرفت عن الفطرة السليمة . وباستمرار يؤكد القرآن الكريم على حتمية انتصار الحق والخير .

---

(١) أنظر مؤلفنا : مقدمة في التربية ، مرجع أسبق ص ص ٨٧ - ٩٢ .

اذن فهناك حتمية يعلى الاسلام من شأنها وهى حتمية القيم وأهميتها فى استقرار الحيـــاة واستمرارها ، وحتمية انتصار الحق والخير على الباطل والشر ، وحتمية السير على مبـــادئ وتشريعات الله لهذه البشرية .

والقصص القرآنى بهذا لم يكن مجرد سرد تاريخى لأخبار الأقدمين ، وانما هـــو منهاج تاريخى لا يستغرق فى التفاصيل ، وانما يذكر الوقائع ذات الدلالة فى حياة البشـــر ليؤكد بها قيمة من القيم الاسلامية . وهى تلك القيم التى تصح بها الجماعة والانســـان وتكتمل بها صحتهما النفسية والاجتماعية .

على أن الاسلام فى بنائه لقيمه ولمبادئه ولتشريعات لم يكتف بهذه التواريخ السابقـــة ليدلل على عظمتها ، وانما جاء الاسلام - كما ذكرنا - رسالة مثالية تطبيقية طبقت بالفعـــل فى واقع الجماعات البشرية ، على يد بانى الأمة الاسلامية ومحقق مثالياتها محمد صلى اللـــه على وسلم . وهى فى تطبيقاتها قد أكدت كل تصوراتها وكل مثالياتها ومبادئها ، وأثبتـــت حقائق فى جميع المجالات السياسية والحربية والادارية والاقتصادية والاجتماعية . وكانـــت تعايش التطبيقات المختلفة للاسلام تطبيقات مختلفة للتربية فى كافة المجالات الاجتماعيـــة ، وعلى كافة المستويات البشرية .

وأصبحت هذه التطبيقات المختلفة للاسلام وللتربية الاسلامية هى الأخرى تاريخ يرجـــع إليه فى الاستدلالات على حتمية القيم والمبادئ الاسلامية والتشريعات السماوية فى بنـــاء النظرية الاسلامية والنظرية التربوية فى أى عصر من العصور . وهذا الاستدلال لا يقصد منـــه العودة بالحياة البشرية الى ما كانت عليه من أوضاع اجتماعية . فهذا ينافى سنة اللـــه فى حياة خلقه المتجددة . وانما يساعد ذلك فى مواجهة المواقف المتجددة فى الحياة العامة وفى الحياة التربوية .

نخلص من ذلك أن التاريخ البشرى بوجه عام والتاريخ الاسلامى بوجه خاص يساعدنـــا فى بناء النظرية الاسلامية والنظرية التربوية فى كل عصر من العصور وفى كل مكان فى الدنيا .

. . . . . .

المصـادر والمراجـع

المصادر : القرآن الكريم .

المراجع :

* **المراجع العربية :**

١ — لوك ، هيوم ، روسو ، العقد الاجتماعي ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، دار المعارف .
٢ — سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، بيروت ، دار الشروق ١٩٥٦ .
٣ — محمد قطب ، التطور والثبات في حياة البشر ، بيروت ، دار الشروق .
٤ — محمود السيد سلطان ، المغزى التربوي للطبيعة البشرية في الاسلام ، مجلة كلية التربية ، ١٤٠٠ هـ — تحت النشر ، مكة المكرمة .
٥ — مفاهيم تربوية في الاسلام ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٧٨م (الطبعة الاولى) .
٦ — مقدمة في التربية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م — دار المعارف بمصر .

* **المراجع الأجنبية :**

1. Rousseau, Jean Jack, On the Social Contract.
2. Plato, Republi, Book II.

.. .. ..